مجلة جامعة طرطوس للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (٧) العدد (٦) ٢٠٢٣
Tartous University Journal for Research and Scientific Studies –Arts and Humanities Series Vol. (٧) No. (٦) 2023

رمزية التكوينات الجسدية للمحبوب في ديوان ترجمان الأشواق لابن عربي

*رباب سهيل يوسف

**د. صالح إبراهيم نجم

(تاريخ الإيداع ١٨/ ٥ /٢٠٢٣. قُبِل للنشر في ١٠/ ٨ /٢٠٢٣)

□ ملخّص □

يدرس هذا البحث رمزية التكوينات الجسدية للمحبوب في ديوان "ترجمان الأشواق" لـ(محيي الدين بن عربي)، فيبين تجليات المحبوب الحسية في الديوان ويدرس صفاته الجسدية من عيون وشعر وفم وخد وغير ذلك من الصفات، ويبحث في رمزية هذه الصفات وما تشير إليه بواطن ألفاظها، وخصائص المفردات الدلالية المنتمية إلى الحب الصوفي لمعرفة ما ترمز إليه، ويعنى أيضاً بتحليل هذه الصفات وما يتصل بها من رموز ودلالات ومعانٍ، ويدرس رمزية المرأة وصفاتها الحسية في شعر ابن عربي، ويبحث في العلاقة بين شعر الغزل (العذري والصريح) والحب الصوفي لما بينهما من ملامح وصفات متشابهة. ويسلط الضوء على المفردات الغزلية وما ترمز إليه.

كلمات مفتاحية: الحب، الرمز، الغزل، المرأة، الجمال، الجسد، المحبوبة.

*رباب سهيل يوسف: طالبة دراسات عليا (ماجستير) – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة طرطوس – طرطوس – سورية.
**الدكتور صالح إبراهيم نجم: أستاذ مساعد – قسم اللغة العربية – كلية الآداب و العلوم الإنسانية – جامعة طرطوس – طرطوس – سورية.

مجلة جامعة طرطوس للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (٧) العدد (٦) ٢٠٢٣
Tartous University Journal for Research and Scientific Studies –Arts and Humanities Series Vol. (٧) No. (٦) 2023

The symbolism of the physical Formations of the Beloved in the Diwan of the starn slator the longings by Muhye al-Din ibn Arabi.

Rabab Suhail Yossef*

Dr. Saleh Ibrahim Najm**

(Received ١٨/٥ /٢٠٢٣. Accepted ١٠/٨/٢٠٢٣)

□ ABSTRACT□

It shows the sensory manifestations of the beloved in the diwan, and he studies his physica characteristics such as eyes, hair, mouth, ckeek and other characteristics Induction also reveals the symbolism of these attributes, and what it refers to inside the words, the research also studies the characteristics of semantic vocabulary belonging to the sufi and know what it stands for, it also means analyzing these characteristics and related symbols and meanings.

The research also reveals the symbolism of woman her sensual qualities in the poetry of Ibn Arabe.

The research also studies the relationship between virginal spinning poetry and sufi love because of the similar characteristics and features between them, and sheds light on the meaning of the flirtations vocabulary and what it symbolizes.

Keywords: Love, Woman, Beauty, Symbol, Virginal, body, Spinning.

*Rabab Suhail Yossef: Masters degree student, , Faculty of Arts and Humanities, University of Tartous, Tartous, Syria.

**Dr: Saleh Ibrahim Najm is an assistant professor, Department of Arabic language, Faculty of Arts and Humanities, University of Tartous, Tartous, Syria.

المقدمة

يعد الحب من أرقى العواطف الإنسانية التي يتميز بها الكائن البشري، والتي تسمو بذوقه ونفسه، وقد تغنى به الشعراء، وتحدث عنه الفلاسفة، وناقشه علماء النفس والاجتماع. وقد عرف الشعر العربي شيوع غرض الغزل بنوعيه العذري والصريح، وتغنى الشعراء بهذه العاطفة وعبّروا عن مشاعرهم تجاه من يحبون من شوق وحزن وأسى لفراق المحبوب وغير ذلك...

ويُلاحظ تأثر ابن عربي في ديوانه "ترجمان الأشواق" بالغزل التقليدي من حيث ألفاظه ومعانيه، ومن هذا المنطلق يسعى البحث إلى دراسة رمزية التكوينات الجسدية للمحبوب، والبحث في كيفية تجلي المحبوب وتحليل صفاته الجسدية، وبيان ما ترمز إليه هذه الصفات، كما يحاول دراسة الألفاظ والكشف عمّا ترمز إليه هذه الألفاظ من دلالات ومعانٍ.

فالغزل بالمرأة وصفاتها الحسية بمنزلة مدخل لرمزية المرأة المحبوبة في شعر ابن عربي، ووسيلة للتعبير عن حبّه الإلهي، ومقاصده المعنوية، لذلك يتسم شعره بالرمز والتلميح والإشارة وكثرة المعاني والدلالات الباطنية التي تشير إليها الألفاظ والمفردات الغزلية.

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في أنه سيقوم بدراسة التكوينات الجسدية للمحبوب في ديوان ترجمان الأشواق لـ(محيي الدين بن عربي) دراسة أدبية فنية، تسعى إلى الكشف عن رمزية هذه التكوينات الحسية وتحلل الألفاظ وما يتصل بها من معانٍ ودلالات ورموز، كما يكشف عن حب إلهي انماز به ابن عربي، وتشكل فيه المرأة المحبوبة والتغزل بصفاتها ومكوناتها الجسدية رمزاً من رموزه المتعددة.

أهداف البحث:

١- دراسة هذا النوع من الحب الذي انماز به شعر ابن عربي، والكشف عن رمزية المرأة المحبوبة، وتحليل مكوناتها الجسدية وما يتصل بها من معانٍ باطنية ورموز.

٢- دراسة الخصائص الدلالية للمفردات في شعر ابن عربي المنتمية إلى الحب الإنساني، ومعرفة ما ترمز إليه هذه المفردات من معانٍ ودلالات.

٣- الوقوف على ما يتضمنه شعر ابن عربي من رموز معبرة عن عشقه للمحبوب الإلهي، وتحليل الألفاظ الغزلية والرموز التي تحيل إلى هذا المعنى.

منهج البحث:

سيعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي الذي سيكون دليل البحث في دراسة ظاهرة الحب في شعر ابن عربي، والكشف عن رمزية التكوينات الجسدية للمحبوب الإنساني وتوضيحها، ومعرفة ما تشير إليه هذه التكوينات من دلالات ومعانٍ ومقاصد باطنية وما تحمل من مشاعر وتوجهات فكرية.

متن البحث:

ينماز الشاعر الصوفي باستخدام الرمز، وينتقل بالغزل من الإنساني إلى الروحي، فيتخذ من المرأة رمزاً، ويوظفها في شعره بلغة غزلية يصل بها إلى المحبوب الأسمى، فتكون محبوبة ابن عربي (النظام) هي إشارة ودلالة إلى معانٍ باطنية لا تُدرك مباشرة. إنها تجمعُ بين محبوب إنساني مادي يتغزل به ابن عربي ويشغف بجماله ويصوغ التراكيب الغزلية الحسية فيه، وبين محبوب روحي مطلق يشير إليه في شرحه لترجمان الأشواق، إذ «يتسم رمز المرأة بوصفها تلويحاً يجمع بين الطبيعي والإلهي، بين الشعور الباطني ببكارة العشق وعذريته وبين الشهوانية في مظاهر استيطيقية متنوعة، بين التجلي الإلهي والصور المحسوسة»[1].

وتكون الأبيات الغزلية التي ينظمها بالمحبوبة مزيجاً غزلياً رمزياً يحتوي على مشاعر الحب والإعجاب الإنساني بهذه الفتاة من ناحية، وعلى مشاعر الحب للمحبوب الإلهي الروحي الذي يكمن وراء هذه الرموز الشعرية. إنه غزلٌ يمزج بين الحب الإنساني المادي والمحبة الإلهية.

فالتراكيب الغزلية في أبيات ابن عربي تعبّر عن حبّه لمعشوق إنساني وإعجابه بصفاته الخارجية ووصف المشاعر العاطفية تجاه هذا المعشوق بأسلوب شبيه بأسلوب الشعراء العذريين من توقٍ للوصال والتخلي عن الشهوة المادية والحزن بسبب الفراق والبعد، لكن هذه التراكيب يستخدمها بوصفها رموزاً لغوية تمكنه من التغزل بالجمال الإنساني بوصفه هو أيضاً مظهراً من مظاهر الجمال الإلهي.

فتتحول المرأة التي تغزل بها ابن عربي وعشقها من محبوب بشري يشع جمالاً لتصبح في شرحه محبوباً إلهياً، فهو يتغزل بها ويفتتن بجمالها في واقعه المادي، لكنها تكون رمزاً للمعشوق "الله تعالى" في واقعه المثالي.

إذ لا يمكن نفي وجود محبوبة حسية يعجب بها ابن عربي ويتغنى بجمالها ويتغزل بها ويعشقها، لكنّ الشاعر الصوفي يتخذُ من المرأة البشرية رمزاً للدلالة على معانٍ باطنية لا تدرك مباشرةً، والغاية من استخدام الرمز في شعره الصوفي هي جعل اللغة مشحونة بالعواطف والمشاعر الإنسانية، «فالرمز هو معنىً خفي وإيحاء، إنه البرق الذي يفتح للوعي أن يستشف عالماً لا حدود له، هو إضاءة للوجود واندفاع نحو الجوهر»[2].

فهذه المرأة التي يغرق ابن عربي في وصفها الحسي، وفي التغزل بها، وعشقها، والتي تدعى (النظام) هي محبوبة مادية حسية، وقد ذكر ذلك عندما أشار إليها في كلماته وتراكيبه الشعرية، لكنه شرح وفسّر هذا الغزل وهذه الكلمات على أنها في امرأة ما ليست مجرد شيء مادي وحسب، بل هي من ناحية أخرى مقصود بها الحق تعالى الذي تجلى في صورة هذه المرأة الحسناء، فحسنها وجمالها هو مظهرٌ للجمال الإلهي الذي أراده وقصده ابن عربي. إنه

---

[1] الرمز الشعري عند الصوفية: د. عاطف جودة نصر، دار الكندي، بيروت، ط١، ١٩٧٨م، ص١٦٦.

[2] زمن الشعر: أدونيس، دار الفكر للطباعة والنشر، ط٥، ١٩٨٦م، ص١٦٠.

يوظّف هذا الرمز في قصائده ويعبّر بوساطة غزله بالأنثى عن تجلي الحق تعالى في الكون، ولم يستطع التعبير عن ذلك بمعزل عن لغة الغزل الحسي؛ وسبب ذلك «هو عجز الصوفيين عن إيجاد لغة للحب الإلهي، تستقل عن الحب الحسي كل الاستقلال، فيمضي الشاعر إلى العالم الروحي ومعه من عالم المادة أدواته وأخيلته في تصوير عالمه الجديد»[1]. إنه يستعين بلغة الغزل المادي والمحبوبة الحسية كي يتمكن من التعبير عن حبّه الإلهي، لأن التغزل بالأنثى الحسية أفضل وسيلة للتعبير عن ذلك الحب الروحي السّامي.

فالمرأة الموجودة في شعر الصوفية هي صورة من صور تجلي الله في الكون، والعلاقة بها هي انعكاس لعلاقة الصوفي مع الله، إذ لا يمكن أن ننكر أنه تغزل بهذه الأنثى البشرية، ورغب في التقرب منها، وشغف بجمالها، فهو في أبياته يتغزل بها ويصفها، حتى وإن لم تكن مقصودة لذاتها، فألفاظه من: جيد وشعر وعيون وردف... وغيرها تدل على حب وغزل مادي، وهذا يعني أنه بالفعل يوجد محبوب إنساني يتم التغزل به من ناحية، لكن الشاعر الصوفي يجعل هذا الحب الإنساني أداة تعبير عن حب روحي آخر يتعلق بالله الخالق عزّ وجلّ.

ويمكن القول إن شعر ابن عربي يحتوي امرأة مادية بالفعل ويتضمن إعجاباً وتغزلاً بها، لكن هذه المرأة تعينه على وصف مشاعره تجاه محبوبه الروحي (الذات الإلهية)، كون هذه المرأة الإنسانية هي صورة تعكس تجلي الخالق وجماله، إذ هي من إبداعه وصنيعه، وحُبها ما هو إلا حبٌ لله تعالى، وعليه فـ«علاقة الصوفي بالله انتقلت من عاطفة الرجل تجاه المرأة، إلى عاطفته تجاه الله، ومن ثم لم تعد المرأة سوى رمز للنفس التي تصبح معرفتها مدخلاً لمعرفة الله والكون»[2].

يجد ابن عربي أن اللغة الحسية المحتوية على كلمات غزلية بأوصاف مادية موجودة يمكن للعين رؤيتها، يجدها لغة قادرة على إبراز حبه لمحبوبه الإلهي الذي لا يمكن رؤيته إلا من خلال تجليه بالصور الكونية المتنوعة، وكان المحبوب البشري هو الأنسب للتعبير عن عشق الخالق، والتعبير عن مشاعر الحب تجاهه، والتّوق إلى وصاله، لذلك يعمد ابن عربي إلى صياغة أبياته بطريقة الغزل الحسي البشري والإفصاح عن مشاعره الروحية تجاه الله بطريقة غزلية إنسانية.

حتى إننا نرى تداخلاً وتمازجاً بين الشعر الصوفي والشعر الحسي المادي «فالعيون الوسنى واللحاظ الفاترة والخدود الموردة كل ذلك يفضي إلى تأليف الصوفية في تركيب رمز بين الشعور الذاتي والأوصاف الخارجية بنزعة حسية»[3].

فالخطاب الصوفي ينماز من سواه بتوظيف الرمز، لأن الشاعر الصوفي يستخدم الرمز الذي ينبع من الحالة الوجدانية، فهو لا يكتسي طابعاً وجدانياً وحسب، بل يتعداه إلى المعارف والأسرار الروحية، وبذلك نجد حب المرأة والتغزل بها فيما يستخدمه ابن عربي من تراكيب وصور هي رموز يشير بها إلى معانٍ أخرى، إنه يعيش في برزخ بين واقع معيش يتجلى في حب محبوبته البشرية (النظام)، وخيال يتجلى في عالم المثال الأعلى، ويتمثل شعراً في حبّ (الذات الإلهية).

---

[1] الأدب في التراث الصوفي: عبد المنعم خفاجي، مكتبة غريب، القاهرة، ص١٨٢.

[2] القضايا النقدية في النثر الصوفي: د. وضحى يونس، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٦م، ص١١٢.

[3] الرمز الشعري عند الصوفية: د. عاطف جودة، ص١٦٥.

يتغزل ابن عربي بالفتاة (النظام) ويصف جمالها، لكنّه ينقل هذا الغزل الإنساني إلى غزل روحي، فبعد الاطلاع على شرحه لديوان ترجمان الأشواق نستنتج روحية ومعنوية غزله بمحبوب إلهي لا إنساني، ومن ذلك قوله: «وشرحتُ ما نظمته بمكَّة المشرَّفة من الأبيات الغزلية أُشير بها إلى معارف ربانية، وأنوار إلهية وجعلتُ العبارة بلسان الغزل»[1].

وبذلك يمتزج شعر الغزل الصوفي المعنوي بشعر الغزل الحسي، فابن عربي يفتتن بجمال عيني المحبوبة وشعرها وغير ذلك من مكوناتها، ويصوغ أجمل التراكيب الرمزية الغزلية المعبرّة عن عشقه الحسي. حتى يختلط الأمر على القارئ بين الحسي المادي والروحي المعنوي، وقد «اختلط كثير من نصوص الشعر الغزلي الصوفي، بالشعر الغزلي الحسي اختلاطاً صَعُبُ فيه التمييز بينهما»[2].

فقد اتخذ الصوفيون من رمز المرأة وسيلة لوصف حبهم وشوقهم لله تعالى، وتعددت أسماء المحبوبات البشرية في شعرهم من (زينب وليلى وسلمى وغيرها) وهي في مجموعها كناية عن محبوب واحد هو الله الذي لا شريك له، والذي لا يمكن أن يعشقَ الصوفي غيره.

وفيما يأتي تحليل لبعض رموز الغزل الحسية بالمرأة بهدف الكشف عن دلالتها في غزل ابن عربي:

أ – العيون:

يقول[3]:

تَرنُو، إذا لَحَظَتْ بمُقلةِ شادِنٍ يُعزَى لمُقلتِها سَوادُ الإثْمِدِ

بالغُنجِ، والسحرِ القَتول مُكحَّلٍ بالتّيهِ والحُسنِ البديعِ مُقلَّدِ

يشير ابن عربي بقوله: (مقلة شادن) إلى الغيب الذي لا يعلمه ولا يعلم ما يوجد فيه إلا الله، فهي إشارة إلى الحقيقة الربانية التي لا يعلمها إلا الحق، لأن مقلة الشادن «نظر الحكمة في السواد، وهو الغيب الذي لا يدرك ما فيه»[4]، فهي تنظر بعين كحلاء إلى السواد وهو الغيب الإلهي، فتكون المقلة هنا مقلة المحبوبة هي إشارة وعلامة على المحبوب الإلهي وإلى الغيب الذي يدركه الله وحده، فالشادن هو تجلي الحضرة الإلهية في قلوب العباد العارفين، وهذا رمز يدل على تجلي الحق على قلوب المحبين الذين يسكن حبه أفئدتهم، إذ الشادن هو «مجلى الحضرة الربانية على القلب الإنساني»[5]، وتدل كلمة (لحَظَتْ) على ظهور المحبوب الإلهي وتجليه في قلوب العباد المحبين، فهي ملاحظة لتجلي الله في قلوبهم وإشارة إلى ظهوره وانكشافه لهم ورؤية المحبوب الإلهي المتجلي في القلوب.

ثم يقول: (ترنو إذا لحظت بمقلةِ شادنٍ)؛ أي هي تنظر بعين كحلاء، فهي تتصف بالحسن والجمال، وتدعو العاشقين لها إلى ملاحظة هذا الحسن المُتصفة به، لكن لا يمكن الحصول عليها أو إدراكها، هذه المحبوبة عند ابن

---

[1] ديوان ترجمان الأشواق: محي الدين بن عربي، ص١٠.

[2] التصوف في الشعر العربي نشأته وتطوره: عبد الحكيم حسان، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٥ ديسمبر ١٩٥٤م، ص٨٨.

[3] ديوان ترجمان الأشواق: محي الدين بن عربي، ص٩٢.

[4] المعالم الرمزية في الشعر الصوفي العربي: نور سلمان، إشراف: د. كمال اليازجي، الجامعة الأميركية، بيروت، حزيران، ١٩٥٤م، ص١٢٤.

[5] المصدر السابق: ص١٢١.

عربي ترنو؛ أي تنظر بعين كحلاء مكللة بالسواد، سواد الإثمد، والسواد ربما يشير به إلى الغيب والفناء عن النفس والبقاء في الحق تعالى، فاللحاظ هي «حالات التجلي وخيالات النزولات»[1]، إنه يقصد بهذه الكلمة الإشارة إلى محبوبه الحقيقي، وهو الحق تعالى، فيستخدم كلمة اللحاظ التي ترمز إلى معنى آخر في مفاهيم الحب الإلهي الصوفي، وتشير إلى تجلي الله، فالسواد قد يكون إشارة إلى الغيب، والعودة إلى الأصل الذي خُلِقَت منه الكائنات بقدرة الله تعالى وإرادته.

وقوله (سواد الإثمد)؛ أي إن هذه المحبوبة تنظر بمقلة شادن إلى الغيب الذي لا يمكن لأحد إدراكه إلّا الله سبحانه، وعين هذه المحبوبة تتصف بالسحر والجمال، فالناظر يحار في جمالها وفي إدراك حقيقتها وحقيقة حسنها، فهي تسحر الناظرين بشدة حسنها الموضوع بها، وهذه الصفات جمعها ابن عربي في صورة حسية تعكس جمال الخالق، إذ جعله يتجلى للناظر في صورة العين التي تشغل الناظر لها عن نفسه، فينشغل بحسنها وجمالها، إذ جاءت صورة العين وجمالها كناية عن صورة الحق وحسنه المتجلي بها.

ينتقل ابن عربي من المباشرة إلى مستوى الرمز، ويستخدم إمكانيات اللغة والشعر، وينقلها إلى دلالات أخرى متعددة تخدم فكرته التي يريد التعبير عنها.

تصبح أوصاف المرأة وتكويناتها الحسية منبعاً للصوفية، لتكون علاقة المحب الصوفي مع المرأة رمزاً لعلاقته مع الله، واللغة الصوفية برمزيتها وكثافة معانيها وإيحاءاتها تُحيل المتلقي إلى اكتشاف معانيها الرمزية بحب الله والشوق إليه والتوق لرؤيته.

يقول[2]:

مَرَضي من مريضةِ الأجفانِ علّلاني بذكرها علِّلاني

هَتف الورقُ بالرياضِ وناحتْ شجوُ هذا الحمامِ مما شجاني

بأبي طفْلةٌ لَعوبٌ تَهادَى من بناتِ الخدورِ بين الغَواني

الدلالات هنا تنتقل من مستوى الرموز الجزئية التي يستخدمها ابن عربي في أبياته إلى مستوى التجليات الإلهية، وردّ الأوصاف والجمال الأنثوي إلى الجمال الإلهي المطلق المعنوي الذي لا يمكن رؤيته في ذاته إلّا من خلال هذه الصفات الجسدية الأنثوية التي تجلّى فيها جمال الخالق وحسنه، وبذلك نرى أن الحق المطلق له مظهران؛ مظهر التجلي المطلق المنزّه عن الرؤية، ومظهر من حيث التجلي والتعيين؛ أي انعكاس ظهور التجلي المطلق في هذه الصور الحسية الموجودة، ومنها المرأة البشرية وصفاتها الأنثوية المليئة بالجمال، وتغزل الشاعر الصوفي بها يعني تغزله بصفات التجلي الإلهي المطلق «لذلك نجد المرأة منبعاً غزيراً يستقي منه الشعراء تصوراتهم ومدركاتهم في نورها المطلق، أكثر مما يرتبطون بالصورة لذاتها وتجسيد واقعها الملموس»[3].

---

[1] معالم الرمزية في الشعر الصوفي: نور سلمان، إشراف: د. كمال اليازجي، ص١٢٣.

[2] ديوان ترجمان الأشواق: محي الدين بن عربي، ص٧٨.

[3] دلائلية النص الأدبي: عبد القادر فيدوح، ديوان المطبوعات الجامعية، ط١، وهران، ١٩٩٩، ص٨٨.

يخص ابن عربي المحبوبة الذات الإلهية بالعشق والحب، ما يجعله يلحّ على طلب ذكرها، فالذكر «الخلاص من النسيان بدوام حضور القلب مع الحق»[1]، لأن ذكر هذه المحبوبة يشفيه من مرضه، فهذه المحبوبة عندما مالت وتقربت من العباد العارفين بالرحمة ملأت قلوبهم بالعشق والميل إليها فالأجفان «صور الأكوان التي هي حجب على العين الإلهية، وضعف الأجفان مقبول لأنه نوع من المحاسن يحمل معنى التكبر والامتناع عن العشق»[2]، إن الحق تعالى منزه عن الإدراك لما يتصف به من نزاهة وقداسة وعلو فاحتجب عن الرؤية، وهذا ما يشير إليه ابن عربي بكلمة (الأجفان)، ذلك لأنه لا يمكن لهذا المحبوب المعنوي أن يُعرف أو يُرى إلا من خلال العلوم الإلهية التي تسكن قلب المؤمن. الورق: «أرواح المشايخ المحققين»[3]، والروض «روض القلوب الحاوي على الحكم اللطيفة، أو بالحضرة الإلهية»[4]، ويريد ابن عربي بالورق أرواح العباد العارفين السالكين التي تنوح وتبكي لأجل لقاء المحبوب الحق تعالى. وبنات الخدور «الحكمة الإلهية التي خلف حجاب الصون والحفظ»[5].

لكن يمكن أن يكون لهذه الورقاء معنىً آخر في اصطلاح حب ابن عربي الإلهي، فهو قد يشير بهذه الكلمة (الورق) إلى نفسه الحزينة المهمومة التي تنوح بسبب فراق محبوبها الحق. فالشجي هو الإنسان الحزين، والورقاء هي «أحد الطيور الأربعة للنفس الكلية وهي إشارة إلى المرتبة الوجودية»[6]، فهذه نفس ابن عربي الباكية والحزينة لبعده عن الحق. ويمكن أن نرى في استخدامه لكلمة (ذكرها) إشارة إلى ذكر محبوبه الأعلى الحق تعالى، لأن كلمة الذكر في مصطلحات هذا الحب الروحي تشير إلى الله، فهو حين يذكره يطمئن قلبه ويهدأ، وعليه، يمكن القول إن ابن عربي عندما يتذكر محبوبه الأعلى يشفى من همّه ومرضه.

وفي هذه الأبيات قصد الشاعر (بمريضة الأجفان) الحضرة الإلهية وبالمرض العشق والميل إلى هذه المحبوبة الإلهية التي يريد العشاق الصوفيون الوصول إليها والتقرب منها، فهي عندما تميل إلى هذا العارف العاشق وتسكن فؤاده هو أيضاً يمتلئ عشقاً وصبابةً وحباً بها، إذ هي عندما تحتجب وتغيب عنه يشفى من مرضه بنزول هذه الألطاف الإلهية على قلبه وتسكن داخله، وبذكر الله يصبح قلبه مطمئناً، وهنا يمكن أن نراه يتحدث عن نوح الحمام وبكائه وحزنه، فالحمام يشارك ابن عربي حالة الحزن والأسى التي يعيشها بسبب صدّ المحبوب عنه، حيث يريد أن يقول إن هذا الحمام يشجو ويحزن ويشاركه نوحه وحزنه، فيستخدم كلمة (الورق) وهي الحمامة التي تنوح لنوح ابن عربي وتشاركه همومه، فهي تشجو على حالته الحزينة المهمومة لأن «الشجن هو الهم والحزن، وشجنت الحمامة تشجن شجوناً: ناحت وتحزنت»[7].

---

[1] معجم اصطلاحات الصوفية: عبد الرزاق الكاشاني، تحقيق: عبد العال شاهين، دار المنار، ط١، ١٩٩٢م، ص٢٧٧.

[2] معالم الرمزية في الشعر الصوفي: نور سلمان، إشراف: د. كمال اليازجي، ص١١٧.

[3] المصدر السابق: ص١٢٥.

[4] المصدر السابق: ص١٢٠.

[5] المصدر السابق: ص١١٨.

[6] المعجم الصوفي: سعاد الحكيم، دندرة للطباعة والنشر، ط١، ١٩٨١م، ١٤٠١هـ، ص٣٠٥.

[7] لسان العرب: ابن منظور، ج٧، مادة (ش ج ن).

ب – الشعر:

يقول[1]:

هيفاءُ ما تهوى الذي أهوى ولا ... تَفِ للذي وعَدَتْ بصدْقِ الموعدِ

سحبَتْ غديرَتَها شُجاعاً أسوداً ... لتُخيفَ من يقفُو بذاكَ الأسودِ

واللهِ ما خِفْتُ المَنُونَ، وإنما ... خوفي أموتُ فلا أراها في غَدِ

يبدأ ابن عربي أبياته بكلمة (هيفاء) مشيراً بهذه الكلمة إلى محبوبته المعنوية التي يهواها؛ أي (الذات الإلهية)، ومعنى هيفاء «العلوم الإلهية المعتدلة»[2]، تتصف بالنزاهة والقداسة فهي لا تنصاع لإرادة أحد تبقى نزيهة عالية المكانة، والغدائر «العلوم الخفية والأسرار التي لا يستولي عليها بضرب من التلويحات البعيدة لنزاهتها»[3]، يصف ابن عربي محبوبته بالقداسة والتنزيه والرحمة بالعباد، وذاك يدل على أن الحق تعالى يتصف بالتنزيه والتقديس وعلو المكانة والعطف والمغفرة للذنوب، وهذه المحبوبة الإلهية لديها من العلوم الربانية والمعارف ما لا يمكن الحصول عليه بسهولة، لذلك يشير ابن عربي إلى تلك العلوم الخفية البعيدة المنال (بالغدائر) السود.

فقصد ابن عربي (بالسواد) الغيب والعلوم الغيبية المتصفة بالتنزيه والتقديس وعلو المكانة، فهي موجودة عند الحق تعالى ومقدسة، فيها صفة الجلال والهيبة، فيخاف العبد أن تحرقه أنوار التجلي المتصف بالجلال، فيتوقف عن سلوك طريق الحق، فهو يخاف أن ينحرق بجلال تجلي الحق عليه، ولا يخاف من الموت بل هو يخاف أن يموت ولم يتمكن بعد موته من رؤية الحق والتجلي الإلهي.

يقول ابن عربي في هذا السياق[4]:

بهَيْفَاءَ غَيْداءَ رُعبُوْبَةٍ ... فُؤادُ الشّجيّ لها تائقُ

يفوحُ الندى لدى ذكرِها ... فكلُّ لِسانٍ بها ناطِقُ

فكلُّ خَرَابٍ بها عامِرٌ ... وكُلّ سَرَابٍ بها غادقُ

فليلي من وَجهها مشرقٌ ... ويَومي من شَعرِها غاسقُ

يصف ابن عربي هذه المحبوبة الإنسانية ومقصده بذلك أن الذات الإلهية المتجلية في صورة هذه المعشوقة البشرية الحسية جميلة تتصف بالحسن والخلق القويم، تتوق القلوب لرؤيتها وتميل إليها، إن ذُكِرَت فاح العطر والطيب من ذكرها، يعشقها لسان كل عبد مؤمن ويطمئن بذكرها والنطق باسمها، فالقلب الذي ألهته الدنيا وملذاتها وجعلته تائهاً

---

[1] ديوان ترجمان الأشواق: محيي الدين بن عربي، ص٩٣– ٩٤.

[2] المعالم الرمزية في الشعر الصوفي: نور سلمان، إشراف: د. كمال اليازجي، ص١٢٤.

[3] المصدر السابق: ص١٢٢.

[4] ديوان ترجمان الأشواق: محي الدين بن عربي، ص١٤٠.

وغافلاً يصبح بذكر هذه المحبوبة (الذات العلية) عامراً مليئاً بالمعارف والعلوم الربانية ويهتدي إلى طريق الحق والصواب، وحتى السراب والعدم يفيض بفضلها بالنماء والماء، لأن الله سبحانه يجعل برحمته من الماء كل شيء حي، ويقول إن الليل قد أضاء، ويقول إنه قد استمد العلوم والمعارف الإلهية من هذه المحبوبة، فأشرق ليله بنورها وأضاء بنور هذه المعارف الربانية؛ أي إن الله سبحانه ينير ليل العارف العابد بما يزرعه في قلبه من نور الإيمان.

يتحدث ابن عربي عن شَعر المحبوبة ويشير بهذا الجزء من مكونات المحبوب إلى العلوم الغيبية التي لا يعلم بها إلا الله الحق، فهذه العلوم هي سواد الشعر الذي يكني به ابن عربي عن ذلك، فالغدائر «العلوم الخفية والأسرار التي لا يستولى عليها بضرب من التلويحات البعيدة لنزاهتها»[1]، فهي علوم غيبية تشبه سواد الشعر لا يمكن الحصول عليها بسهولة وهي بعيدة المنال، فيشير بالشعر إلى الغيب وبحصوله على هذه العلوم يصبح ليله مشرق ومنير، ومن ذلك نرى أن الشَعر هنا لم يكن الشعر بمعناه المادي الحسي، بل هو رمز شعري وكناية يستخدمها ابن عربي للدلالة على محبوبه المعنوي الأسمى الحق تعالى، وكان إشارة إلى ما عند الله من الغيب المُشار إليه بالشعر والسواد لتغيبه عن العارف وعدم قدرة المُحب على الحصول عليه لقداسته، لأن سواد الشعر بما يحمل من صفات يشير إلى علم الغيب البعيد المنال.

والشاعر الصوفي يستمد عناصر إلهامه الشعري من الجمال الإنساني الذي يتأثر به، والجمال عند الشاعر الصوفي هو جمال معنوي، وحبه لهذه المحبوبة يتجاوز الواقع الحسي، فالحب الصوفي مليء بالمشاعر والأحاسيس الصادقة، لذلك هو أبدع في الغزل، وعكس هذا الغزل على الجمال الإلهي، ولذلك نرى أن لغةَ ابن عربي وغيره من شعراء الصوفية هي لغة إشارية مشحونة بمعانٍ رمزية، لأن التجربة الصوفية «غير حسية وفي الوقت ذاته ليس أمامها سوى الأشياء المحسوسة للتعبير عن نفسها مما أفسح مجالاً للتأويل، وتعدد معنى الرمز الواحد ليكون مفتوحاً على معانٍ احتمالية لا نهاية لها»[2].

ج – الفم:

يقول[3]:

يا صاحبيَّ بمُهجَتي خمصَانَةٌ	**أسدَتْ إليَّ أيادِياً وَعَوَارِفا**
نُظمَتْ نِظامَ الشَّملِ فهي نظامُنا	**عَربيّةٌ عَجماءُ تُلهي العارِفا**
مهما رَنَتْ سلَّتْ عليكَ صَوَارِماً	**ويُريكَ مَبسِمُها بَريقاً خاطِفاً**

يشير ابن عربي إلى العلوم والمعارف الإلهية الواردة من الله تعالى، فاليدان «هما أسماء الله، وهما حضرتا الوجوب والإمكان والحق»[4]، فالأيادي والعوارف هي المعارف الربانية الصادرة من الله المحبوب الحقيقي، وهذه المعارف قد تيمت قلبه وسكنت فؤاده، فهي تنزل من الله على قلب العارف المريد لقاء الحق سبحانه والاتصال به، إنها تقربه من ربه

[1] المعالم الرمزية في الشعر الصوفي العربي: نور سلمان، ص١٢٢.

[2] القضايا النقدية في الشعر الصوفي: د. وضحى يونس، ص١٠٦.

[3] ديوان ترجمان الأشواق: محي الدين بن عربي، ص١٢٧.

[4] معجم اصطلاحات الصوفية: عبد الرزاق الكاشاني، تحقيق: عبد العال شاهين، بيروت، دار المنار، ط١، ١٩٩٢م، ص٨٧.

وتجعله أكثر اتصالاً به، ويشير بالثغر والمبسم إلى «أمر الحق تعالى»[١]، فالمبسم هو المكان الذي تصدر منه العلوم الإلهية، والله يصدر هذه العلوم والمعارف التي تبدو للعبد كالبريق الخاطف، وللدلالة على ذلك يستخدم ابن عربي مفردة البريق ومعنى البرق «أول ما يبدو للعبد من اللامع النوري فيدعوه إلى الدخول في حضرة الرب للمسير في الله»[٢] فهي إشارة إلى العلوم الواردة من الله على قلب المؤمن العارف.

يقول ابن عربي إن هذه المحبوبة أو الحقيقة الإلهية عندما تتكشف للعارف تؤثر فيه ويبهره نورها. فتبدو عظمية التجلي مؤثرة فيه كما تؤثر السيوف الصارمة في الجسم، ويقصد بقوله (يريك مبسمها) أي تجلي الحق تعالى ورؤيته التي تخطف الأبصار، لأن البرق هو «مشاهد الذات الإلهية ورؤية الحق والتجلي في الصور الذي يذهب الأبصار»[٣]، فالتبسم والبريق هو كناية عن تجلي الحق للعبد في مظهر جمال وجلال فيخطف الأبصار، ويؤثر في العبد السالك، تأثير السيوف الصوارم، لذلك كان المقصود بالمبسم هنا انكشاف وتجلي الحق تعالى في مشهد عظيم مليء بالجمال والعظمة أشار إليه ابن عربي بكلمة (مبسمها)، فالتبسم هو «مقام البسط أو انكشاف أسمائه تعالى الحسنى وصفاته العليا للعبد السالك في طريق الله»[٤]؛ أي مبسم المحبوبة هنا هو رمز يدل على رؤية الحق وتجليه لعباده السالكين في صورة تذهب الأبصار وتخطف الأنظار متصفة بالقداسة والجلال.

ثم يقول[٥]:

يا مَبسِماً أحببْتُ منهُ الحَبَبا	**ويا رُضاباً ذُقْتُ منه الضَرَبَا**
يا قَمَراً في شَفَقٍ من خَفَرٍ	**في خَدّه لاحَ لَنا مُنْتَقِبَا**
شمسُ ضحىً في فلكٍ طالعةٌ	**غصنُ نقا في روضةٍ قد نُصبا**

يشبه ابن عربي مبسم المحبوبة بالحبب وهو ما يطفو على وجه الماء، فهي تمنح الحياة من مبسمها كما قال تعالى: ﴿أو من كان ميتاً فأحييناه﴾[٦]، فالله تعالى يمنح العلم والمعرفة للصوفي العابد بما يمده من علوم ومعارف ربانية وهذه العلوم كالماء، فهو ينقله من الجهل إلى النور والعلم والمعرفة، وشبّه هذه المعارف (بالضرب) وهو العسل للشبه بينه وبين هذه الأنوار والمعارف بالبياض والحلاوة، ومن ذلك يريد ابن عربي أن يشير إلى محبوبه الحق تعالى وانكشاف صفاته وتجليه عليه بالمبسم والثغر، فالمبسم هو المصدر الذي تنزل منه العلوم والمعارف الربانية، وهو رمز لغوي يدل على تجلي الحق وانكشاف صفاته وأسمائه للعبد السالك في طريق الله، فالتبسم في الاصطلاح الصوفي هو «انكشاف أسمائه تعالى الحسنى وصفاته العليا للعبد السالك في طريق الله»[٧]، فهذا المبسم الذي هو إشارة إلى الله تعالى يرسل المعارف والعلوم التي يشبهها ابن عربي بالحبب وهو ما يطفو على سطح الماء فيكون معنى الحبب «ما يتحبب من

---

[١] المعالم الرمزية في الشعر الصوفي: نور سلمان، ص١١٨،

[٢] معجم اصطلاحات الصوفية: عبد الرزاق الكاشاني، ص١٦٣.

[٣] المعالم الرمزية في الشعر الصوفي: نور سلمان، ص١١٨.

[٤] المصدر السابق: ص١١٨.

[٥] ديوان ترجمان الأشواق: محي الدين بن عربي، ص١٠٥.

[٦] سورة الأنعام: الآية ١٢٢.

[٧] المصدر السابق: ص١١٨.

بياض الريق على الأسنان وحباب الماء فقاقيعه»[1]؛ أي إن هذه المعارف القادمة من الله على قلب المؤمن بمثابة الماء الذي يمنح الحياة للعباد ويعينهم، إذ هي تسكن قلوب العباد السالكين وتحسن أخلاقهم وسلوكهم وتقربهم من الله، كما يشير ابن عربي إلى هذه العلوم بالرضاب «فالرضاب أول صادر من كن فيكون وما يلقي ذلك الرضاب في قلبه من العلوم الإلهية والمعارف الربانية والحقائق الرحمانية»[2]، إذ الرضاب المنبعث من المبسم هو العلوم المُرسلة من الحق تعالى للعبد لتحسن أخلاقه، فيشبه ابن عربي هذه العلوم بالضرب وهو العسل الأبيض لما فيها من حلاوة وشفاء، فهي كالعسل فيها شفاء وتمنح الحياة للسالكين.

د- الخد:

يقول[3]:

يا مسكُ يا بدرُ ويا غصنُ نقاً	**ما أوْرِقَا ما أنوراً ما أطْيَبَا**
يا قمراً في شفقٍ من خَفَرٍ	**في خَدِهِ لا لنا مُنتِقِبا**
لو أنَّه يُسفرُ عن بُرْقُعِهِ	**كان عذاباً فلهذا احتجَبَا**
شمس ضحىً في فلكٍ طالعِةٌ	**غُصن نقاً في روضةٍ قد نُصِبا**

إن ابن عربي يريد بالمسك والبدر تجلي المحبوب الإلهي والإشارة إليه، فيستخدم كلمة البدر لتكون رمزاً يدل إليه فالبدر «التجلي الكامل ويستعمل الشعراء البدور والدمى كرموز للمعارف الإلهية الجميلة الكاملة»[4]، فيصف ما ينعم به الله على العباد من معارف وعلوم إلهية بالمسك والطيب، وهذه العلوم التي تتنزل على قلب العبد المؤمن تجعله يتصف بالخير والأخلاق الفضيلة فتحسن أخلاقه لذلك هي كالمسك وكالنور، ويرمز بالمنتقب إلى «الحجب الإلهية النورانية الظلمانية»[5]، وفي البيت الثاني يشبه ابن عربي المحبوب بالقمر فهو يتجلى بهذه الصورة، ويريد بحمرة الشفق التي تظهر على خد المحبوب وعدم تجليه حياءً، احتجاب الحق تعالى عن الخلق واستتاره فهو يشير إلى الحجب الإلهية ومعنى الحجاب: «كل ما يقف في طريق رؤيتهم المباشرة للوجه الإلهي كل ما يفصل ويوصل إلى الله»[6]، فالله تعالى يحتجب عن الخلق رحمةً بهم وبأعينهم لأنهم لا يستطيعون رؤية عظمته، فالحياء في الخد يقصد ابن عربي به احتجاب الخالق عن عباده وعدم انكشافه لهم، فهو عظيم متصف بالنزاهة والعلو، لذلك نجد أن الشفق الذي يدل على خجل المحبوب واحمرار خده نتيجة للحياء الذي يؤدي إلى هذه الحمرة في الخد التي تشبه لون الشفق الأحمر والشفق هو من «الأضداد يقع على الحمرة التي تُرَى بعد مغيب الشمس»[7].

---

[1] لسان العرب: ابن منظور، مادة (ح ب ب).

[2] معالم الرمزية في الشعر الصوفي: ص١٢٠.

[3] ديوان ترجمان الأشواق: محيي الدين بن عربي، ص١٠٦- ١٠٧.

[4] المعالم الرمزية في الشعر الصوفي: نور سلمان، ص١١٧.

[5] المصدر السابق: ص١٢٤.

[6] المعجم الصوفي: سعاد الحكيم، دندرة للطباعة والنشر، ص٣١٢.

[7] لسان العرب: مادة (ش ف ق).

ثم يشبه ابن عربي المحبوب بالقمر، فنلاحظ أن الاتجاه الحسي في شعر ابن عربي لا يمكن تجاهله، إذ يخاطب محبوبه الإلهي بلسان الغزل والوصف، فيستخدم لفظة (القمر) و(الخد) وغيرها من الألفاظ التي تشير إلى وقوع التجلي، فلو أن المحبوب يظهر للعباد ويتجلى لهم ويزيل الحجاب كان ذلك عذاباً، فهم لا يستطيعون رؤية قدرته العظيمة، ويستخدم لفظة (الحجاب) إشارة إلى استتار الحق تعالى عن المشاهدة الحسية فالحجاب «الصور الكونية المانعة لقبول تجلي الحق»[1].

وقوله: (في شفق من خفرٍ) أي حمرة الخدود، وهو يكني بها عن الحجب الإلهية التي تحول بين العبد وربه بقوله تعالى: ﴿وما كان لبشرٍ أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً﴾[2] ويكني بقوله (شمس ضحىً) عن تجلي الحق تعالى في صورة الشمس وفي الصور الكونية الحسية، ويشير بقوله (غصن نقا) إلى تخلّق هذه المحبوبة بالنقاء والصفاء؛ أي التخلّق بصفات الحق تعالى و«الفلك عبارة عن الصورة التي يقع بها التجلي»[3]،

وهذا الحياء والاحمرار في الخد هو رمز إلى أمر آخر باطني غير مباشر، فالحق محجوب عن الأبصار لا يمكن لعباده العاشقين رؤيته. لذلك هو مستتر عن أعنيهم، وللتعبير عن هذا المعنى يستخدم ابن عربي هذا التشبيه وهذه التراكيب الرمزية، فهو ينقل مشهد الحياء في خد المحبوب الإنساني واحمرار خده إلى معنى رمزي يريده، فيشبه احتجاب المحبوب الحق عن العيون وعدم التمكن من رؤيته بحياء المحبوب الإنساني. وهنا نلاحظ أن الوصف للمحبوب الإنساني من شعر وفم واحمرار الخد هو أسلوب رمزي لغوي يستخدمه الشاعر للتعبير عما يريده من معانٍ باطنية معنوية تشير إلى حالته الوجدانية التي تغمره، وتعبر عن رغبته بالوصول إلى محبوبه الحقيقي.

هـ – القد:

نرى أنَّ الحب الصوفي يمثل ينبوعاً حافلاً بشتى الأحاسيس والمشاعر العشقية الهامسة، والرموز الخفية التي توصل إلى الحق والخير والجمال، ويستمد الشاعر الصوفي مشاعره المرهفة من إلهامه الذاتي وإحساسه بالجمال والتأثر بهذا الجمال الذي يراه، لكن الجمال عند الصوفي هو جمالٌ معنويٌ، وفي الحب الصوفي تتعلق روح العاشق الصوفي بالذات الإلهية التي يرجو بلوغها وحضورها ومشاهدتها، لذلك تغنّى الصوفي وتغزل بهذه المحبوبة على طريقة شعراء الحب التقليدي، موظفاً الرمز الذي لا يقصد لذاته، بل يوحي بمعانٍ أخرى يقصدها الشاعر؛ لأن الرمز وسيلة لغوية يلجأ إليها الشاعر الصوفي للتعبير عن مقاصده في علاقته مع الله. ومن أشكال الرمز التي يستخدمها ابن عربي الإشارة والكنايات والتشابيه التي تدل إلى مقاصده المعنوية، يقول[4]:

تمايَلُ سَكرَى، كمثلِ الغُصُونِ ... تُنَتها الرّياحُ كمِثلِ الشّقِيقِ

برِدفٍ مَهولٍ كدِعصِ النّقَا ... ترَجرَجَ مثلَ سَنامِ الفَنِيقِ

فما لامَني في هَواهَا عَذُولٌ ... ولا لامَني في هَواها صَديقي

---

[1] التعريفات: الجرجاني، مكتبة لبنان – بيروت، ١٩٨٥م، ص٧٦.

[2] سورة الشورى: الآية ٥١.

[3] ديوان ترجمان الأشواق: محي الدين بن عربي، ص١٠٦.

[4] ديوان ترجمان الأشواق: محي الدين بن عربي، ص٩٩–١٠٠.

فَشوقي رِكابي وحزني لِباسي وَوَجدي صبوحي ودمعي غُبوقي

يصف ابن عربي هذه المحبوبة، فيقول: تمايل سكرى؛ أي إنها تتمايل في حالة حيرة، فتميل نحو عاشقيها في حيرة حالها في ذلك حال السكران، وثنتها الرياح؛ أي إن طلبتها قلوب العارفين وأرادت قربها مالت إليهم وتقربت منهم، ويمكن أن نلاحظ أن ابن عربي يصف المحبوبة وهي في حالة من الحيرة والتردد باستخدامه لفظة (سكرى)، فهي في حالة من الحيرة بين التجلي على عشاقها المحبين وبين الاستتار عنهم، إنها تترد في هذه الحالة بأن تميل لعشاقها وتتجلى لهم وتتكشف، وبين المنع والانحجاب والاستتار عن أنظارهم. وهذا المعنى يقصد به ابن عربي تجلي الحق تعالى للمحبين السالكين وانحجابه عن عباده، فالسكر في الاصطلاح الصوفي هو «الحيرة بين أنوار القرب، والأنس في السلوك الدال على البعد»[1].

يشير ابن عربي إلى ما أنعم به الله تعالى على عباده من النعم الهائلة بكلمة ردف مهول «يشير إلى ما أردفه من النعم المعنوية وغير المعنوية على عباده»[2]، ويشبه حركة هذه النعم في قلوب العباد السالكين في طريق الحق بسنام الجمل في العظمة والعلو والرفعة، وهذه النعم العظيمة متاحة لكل عبد يريد التقرب من ربه، لذلك لا يمكن أن يلوم ابن عربي أحد عليها، فكل شخص تقي يهوى ربه حاصل على هذه النعم فلا مجال للوم والغيرة، ويريد بالشوق «حركة الشوق إلى الله بالمحبة المنبعثة من مطالعة تجليات الصفات»[3]، فالشوق هو الذي يدفع المريد العارف للسير في طريق الله تعالى والوصول إليه، والوجد هو العشق المتأجج الذي لا ينطفئ «نار في القلب ينبعث منها لطلب الحق»[4] ، وهذا الوجد هو سبب الأمل والإشراق والحياة الجديدة، والشوق إلى رؤية الله هو الباعث على الأمل والحياة.

هذه الأوصاف الحسية تأخذ منحىً لا محسوساً يلجأ إليه الشاعر ليعبر عمّا يريده، لأن اللغة الرمزية هي الأقدر على نقل معاني التجربة الصوفية، فكانت هذه النعم عظيمة وهائلة، وقوله: ترجرج مثل سنام الفنيق؛ أي يشبّه حركة هذه المحبوبة بسنام الجمل العظيم، للإشارة إلى بقائها في قلوب العاشقين لها ومنحهم البقاء والنعيم الأبدي، «هذه العلوم إذا قامت بقلوب من قامت بها أورثتها البقاء في النعيم الأبدي»[5]، وكل شخص يدعو ربه بمفرده ويعبده بقلبه، لذلك لا يقع لوم أو غيره من عاذل أو صديق، فالجميع يعبد الله بقلب منفرد مستقل عن الآخر. وشوق الشاعر هو الذي يوصله إلى المحبوبة، إذ يرفع ابن عربي هذه الأوصاف والتعينات الجزئية إلى مستوى التجلي الإلهي، فهذا الجسد الرمزي الذي تغنى به ابن عربي وهذه المرأة التي غازلها وصنعها ولوّنها هي صورة عن المحبوب الإلهي الخيالي التي تصنعه اللغة، فهي الدليل والذات التي يستخدمها الشاعر للوصول إلى غايته ومطلبه.

---

[1] الاصطلاحات الصوفية: الكاشاني، ص٣١٥.

[2] المعالم الرمزية في الشعر الصوفي: نور سلمان، ص١٢٠.

[3] معجم اصطلاحات الصوفية: عبد الرزاق الكاشاني، ص٣٩٩.

[4] المصدر السابق: ص٣١٨.

[5] ديوان ترجمان الأشواق: محي الدين بن عربي، ص٩٩.

الخاتمة:

والخلاصة نرى أن شاعر الحب الصوفي استطاع أن يحاكي الحب العفيف بالمشاعر الصادقة والإخلاص للمحبوب، كما استطاع أن يحاكي الغزل الصريح من خلال التغني بمفاتن المحبوب وصفاته الجسدية التي ما تزال محجوبة لعدم قدرة العاشق على تحمل تجليها، كما نرى أن هناك صلة بين الشعر الصوفي والشعر الرمزي لأن الرمز والإشارة والتلميح من صفات الشعر الصوفي هو يتجرد من قيود العقل والواقع وينطلق نحو العالم الأسمى، والرمز في الشعر الصوفي من صفات جسدية للمرأة وغير ذلك من الرموز هو وسيلة إلى معانٍ روحية باطنية، كما نرى أن هناك تمازجاً وتقارباً بين الشعر الصوفي والشعر الغزلي في التعبير عن الحب في الألفاظ والمعاني، فالغزل بالمرأة وصفاتها سواء الجسدية أو المعنوية هو وسيلة للتعبير عن حبهم المعنوي لمحبوب باطني وغايات روحية سامية، فهناك ترابط بين الشعر الصوفي وشعر الحب العذري، والشعر الرمزي فكلاهما يجنحا نحو الغموض والرمز والإيحاء ويفسر مظاهر الكون على أنها رموز تدل على حقيقة واحدة من خمرة وامرأة وطير وغير ذلك من الرموز التي تدل على محبوب واحد وجوهر واحد، فهو شعر رمزي يعبر عن العشق الروحي بأسلوب غزلي حسي ويعتمد على التلميح والوصف والإشارة.

نتائج البحث:

١- تمكن الشعر الصوفي أن يُحاكي الغزل العفيف والصريح من خلال التغني بمفاتن المحبوب وصفاته الجسدية التي ما تزال محجوبة لعدم قدرة العاشق على تحمل تجليها.

٢- الرمز في شعر ابن عربي بمختلف صوره (من امرأة أو خمر أو طير وغير ذلك) هو وسيلة فنية للوصول إلى غاية معنوية روحية تعبير عن محبة الذات الإلهية.

٣- لم يقتصر مفهوم الحب على العلاقة بين الرجل والمرأة أو بالحب الحسي، بل أخذ معاني أعمق وأوسع في شعر ابن عربي تعدت الحب المادي إلى الحب الروحي.

٤- كشف البحث عن وجود علاقة تشابه وتقارب بين الحب العذري والصوفي، لكن هناك اختلاف بينهما من حيث نوع الحب وطبيعة المحبوب.

المصادر والمراجع

- *القرآن الكريم.*

١- *الأدب في التراث الصوفي*: عبد المنعم خفاجي، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، (د.ت).

٢- *التصوف في الشعر العربي نشأته وتطوره حتى آخر القرن الثالث الهجري*: عبد الحكيم حسان، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٥ ديسمبر، ١٩٥٤م،

٣- *التعريفات*: للفاضل العلامة علي بن محمد الشريف الجرجاني، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٥م.

٤- *دلائلية النص الأدبي*: عبد القادر فيدوح، ديوان المطبوعات الجامعية، وهران، ١٩٩٩م.

٥- *ديوان ترجمان الأشواق*: محيي الدين بن عربي، دار صادر، بيروت، ١٩٥٥م.

٦- *الرمز الشعري عند الصوفية*: د. عاطف جودة نصر، دار الأندلس، ١٩٧٨م.

٧- *زمن الشعر*: أدونيس، دار الفكر للطباعة والنشر، ط١، بيروت، ١٩٨٦م.

٨- *القضايا النقدية في النثر الصوفي*: د. وضحى يونس، مطبعة اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٦م.

٩- *لسان العرب*: لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، تحقيق: أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ١٩٩٩م – ١٤١٩هـ.

١٠- *معالم الرمزية في الشعر الصوفي*: نور سلمان، إشراف: د. كمال اليازجي، الجامعة الأميركية، بيروت، ١٩٥٤م.

١١- *معجم اصطلاحات الصوفية*: عبد الرزاق الكاشاني، تحقيق: عبد العال شاهين، بيروت، دار المنار، ١٩٩٢م.

١٢- *المعجم الصوفي*: د. سعاد الحكيم، دندرة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، ١٩٨١م – ١٤٠١هـ.